

ملامح التربية المرنة كأحد أهم المبادئ التربوية في الفكر التربوي الحديث

ابتهاال التميمي

الإيميل : ebtehal_tmeme0@yahoo.com

ملخص :

تعد التربية المرنة من أفضل أوجه التربية الحديثة، والتي تعود بالفائدة والنفع على العملية التربوية بكاملها.

حيث أنها تساعد على بناء إنسان وتستخرج طاقاته، فيعمل بلا قلق ولا خوف. في بحثنا التالي نوضح أهمية المرونة في التربية وأثرها على الحيل والمربين وكيفية تطبيقها كمسار تربوي فعال في كافة مناحي حياتنا، وهي أسلوب مطلوب من كافة المربين والقادة والعاملين مع الأشخاص ليس في المدارس فقط، وإنما في حياتنا اليومية.

عند اتباع قواعد التربية المرنة في حياتنا اليومية، سنحصل على نتائج فعالة وسنتخلص من نماذج الشخصيات السلبية والقلقة، ونشرع في بناء قادة يتبنون المجتمع وينهضون به، لما سيتمتعون به من استقرار نفسي وعاطفي وثقة ورغبة في العطاء.

الكلمات المفتاحية: المرونة، التربية، الإنسان، التقليد، المستقبل، الجيل

Features of flexible education as one of the most important educational principles in modern educational thought

ABSTRACT

Since the creation of man, he knew education, and despite the difference of methods of knowledge and diversity of methods throughout the ages and across generations, he knew the simplest images and lives in the jungle, caves and valleys and was always interaction with the universe in order to be able to live and continue. The human education was a direct education practiced by the boy through the simulation of the father, and the girl through the tradition of her mother in the management of the house and the performance of daily work, social relations were simple to deal directly, and as the days go on and people increase and have lots of other needs they began to build houses and cities and civilizations, guided by the knowledge, thought and art they teach to their children, and these in turn add to it what they have invented. With the days, life evolved and its systems varied and their ways differed in shaping the character of the individual and forming his directions and values.

Because man is the intelligent, conscious, thinkative, developed, and renewed being a constant change, his goal is to live a better life. This is the movement of education in human societies since ancient times.

The importance of education, its flexibility and its essential role in the formation of human personality and the building of its existence led to the emergence of many paths and methods in modern education.

And the fact that flexible education is one of the most important and most sensitive responsibilities that fall on the parents. It is a difficult responsibility that needs a lot of effort and patience. Children are the future generation and therefore all that instills in them through flexible education is one of the things affecting their future lives. The means that can be followed in order to reach the ultimate goal.

Keywords: Education, Flexibility, Personality, Shaping, character.

مقدمة:

منذ أن وجد الإنسان على الأرض عرف التربية , ورغم اختلاف أساليب معرفته وتنوع طرائقها على مر العصور وعبر الأجيال , فقد عرفها بأبسط صورها وهو يعيش في الأدغال والكهوف والوديان وكان دائم التفاعل مع الكون بما فيه حتى يتمكن من الحياة والاستمرار فيها . وكانت تربية الإنسان حينذاك تربية مباشرة يمارسها الفتى عن طريق محاكاة والده , والفتاة عن طريق تقليد والدتها في إدارة أمور المنزل وأداء الأعمال اليومية , وكانت العلاقات الاجتماعية بسيطة أسلوبها التعامل المباشر , ولما توالى الأيام وكثر الناس وتعددت احتياجاتهم شرعوا إلى بناء المنازل وأقاموا المدن وبنوا الحضارات بما اهتموا إليه من علم وفكر وفن , يعلمونه لأبنائهم وهؤلاء بدورهم يضيفون إليه بما ابتكروه ومع الأيام تطورت الحياة وتباينت نظمها واختلقت طرقها في تشكيل شخصية الفرد وتكوين اتجاهاته وقيمه . ولما كان الإنسان هو الكائن الذكي والواعي والمفكر والمتطور والمتجدد وهو بالتالي دائم التغيير هدفه أن يعيش حياة أفضل . وهذه هي حركة التربية في مجتمعات البشر منذ القدم .

كما أن أهمية التربية ومرونتها ودورها الجوهرية في تكوين شخصية الإنسان، وبناء كينونته أدى ذلك إلى ظهور العديد من المسارات والطرق في التربية الحديثة.

وكون التربية المرنة من أهم المسؤوليات وأكثرها حساسية والتي تقع على عاتق الوالدين، وهي من المسؤوليات الصعبة والتي تحتاج إلى الكثير من الجهد والصبر، فالأطفال هم جيل المستقبل وبالتالي كل ما يُغرس في نفوسهم من خلال التربية المرنة يعد من الأمور التي تؤثر في حياتهم مستقبلاً، وتتعدد الوسائل التي يمكن اتباعها من أجل الوصول إلى الغاية العظمى منها.

وسنفضل في بحثنا أهمية التربية المرنة في حياتنا وتأثيرها الجوهرية على نفسية الإنسان والذي هو الثروة الحقيقية والمقصودة من وراء جل عمليات وأساليب التربية.

أولاً: المرونة

المرونة لغة:

قال ابن فارس: " مرن " الميم والراء والنون أصل صحيح يدل على لين شيء وسهولة⁽¹⁾. وجاء في لسان العرب: (مَرَنْ يَمْرُن مَرَانَةً ومُرُونَةً: وهو لين في صلابة. ومَرَنْتَ يَدُ فُلَانٍ على العمل أي صَلَبْتُ واستمرت والمَرَانَةُ: اللينُ)⁽²⁾.

المرونة في الاصطلاح:

إن مفهوم المرونة كغيره من المصطلحات في العلوم الإنسانية تتعد فيه المفاهيم وتختلف ومرد ذلك الاختلاف إلى أن البعض ينظر إلى المرونة من خلال الوسط العلمي الذي يعيش فيه فمنهم من يرى أن المرونة هي التوسط، ومنهم من يرى المرونة هي الحل الأيسر، ومنهم من يرى المرونة في اللين واليسر، ومنهم من يرى المرونة أنها القابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، ومنهم من يرى المرونة في تحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرّيين، ومنهم من يرى المرونة في تقبل الآخرين وأفكارهم، ويشير إلى هذا المعنى الأخير الياسين بقوله: (إن على الإنسان أن لا يتخلى عن المرونة في تعامله مع نفسه ومع الآخرين، وليس المقصود بالمرونة بما دون الحق فليس ذلك من المرونة ولا من الشهامة والرجولة، التي يبنيتها الدين في الإنسان، وإنما المقصود ألا يقتصر الإنسان في فهمه وتعامله على جانب واحد من جوانب الحق، لا يتعداه إلى غيره من الجوانب، فإذا تعددت آراء العلماء الموثقين حول نقطة معينة، فلنا أن نأخذ برأي من هذه الآراء دون أن نحاول فرضه على الآخرين، ودون أن يمنعنا ذلك من اعتبار أن الآخرين قد يكونون على الحق ولو أخذوا رأياً آخر من غير أن تقوم بيننا مجادلات، أو تنشأ خلافات وخصومات)⁽³⁾. ويمكن أن نستخلص من هذا التعريف:

أن المرونة تكون في تقبل آراء الآخرين، وأن لا يقتصر الإنسان على جانب واحد من الحق، وأن لا يفرض رأيه على الآخرين.

ويشير رزوق إلى أن المرونة تكون في القدرة على التكيف، وهي ميزة تساعد على الانفتاح بقوله: (تشير المرونة... باعتبارها خاصة تتم عن القدرة على التكيف و التلاؤم، وميزة تشير إلى الانفتاح على صعيد القدرات والقوى والاستعداد من جانب المرء لتطويعها وملاءمتها بحيث تنطوي على قابلية التطويع)⁽⁴⁾. وتعرف المرونة بأنها هي (الحد الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي إن المرونة حركة لا تسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة)⁽⁵⁾. ويلاحظ أن كل هذه المعاني السابقة من التوسط والقابلية للتغير والأخذ بأيسر الحلول... وغيرها، معاني تتضمنها المرونة.

ولهذا يمكن القول: إن المرونة هي الاستجابة الانفعالية والعقلية التي تمكن الإنسان من التكيف الإيجابي مع مواقف الحياة

(1) معجم مقاييس اللغة (ج5، ص313).

(2) ابن منظور (ج13، ص403).

(3) مجلة المنار (ص15).

(4) موسوعة علم النفس (ص278).

(5) الصوفي، حمدان، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية (ص141).

المختلفة "سواء كان هذا التكيف بالتوسط أو القابلية للتغير أو الأخذ بأيسر الحلول..."

ثانياً: التربية

تعريف التربية

تعريف التربية: للتربية دورٌ مهمٌ في حياة المجتمعات والشعوب، فهي عماد التطور والبنيان والازدهار، وهي وسيلةٌ أساسيةٌ من وسائل البقاء والاستمرار، كما أنها ضرورةٌ اجتماعيةٌ تهدف لتلبية احتياجات المجتمع والاهتمام بها، كما أنها أيضاً ضرورةٌ فرديةٌ من ضرورات الإنسان، فهي تكوّن شخصيته وتصلّق قدراته وثقافته ليكون على تفاعل وتناسق مع المجتمع المحيط به ليسهم فيه بفعالية، ومن هنا شغلت التربية الكثير من الباحثين والدارسين على مر العصور، وكان لها قدرٌ لا يُستهان به من الدراسة والتحليل.

يعرّف الجوهريّ التربية لغةً بأنها: رَبَيْتَهُ تَرْبِيَةً وَتَرْبِيَتُهُ أَي غَدَوْتُهُ، قال: هَذَا لِكُلِّ مَا يَنْمِي كَالْوَلَدِ وَالزَّرْعِ وَنَحْوِهِ.

التعريفات القديمة للتربية:

هناك تعريفات مختلفة ومتعددة للتربية، وعلى مرّ الزمن ظهرت تعريفات مختلفة للعلماء والفلاسفة والمفكرين بسبب اختلاف نظرتهم للإنسان وفلسفته في الحياة وللمعتقدات التي يعتقدها، ولأنهم ينظرون إليها على أنها قضية جدلية، ومن التعريفات الأساسية القديمة للتربية ما يلي:

تعريف أفلاطون للتربية (347-427 ق.م): (إنّ التربية هي أن تضي على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن لها).

تعريف رفاعه الطهطاوي (1801-1873 م): (التربية هي التي تبني خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وتنمي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل، وتمكّنه من مجاوزة ذاته بالتعاون مع أقرانه على فعل الخير).

تعريف ساطع الحصري (1881-1968 م): (التربية هي تنشئة الفرد قوياً البدن، حسن الخلق، صحيح التفكير، محباً لوطنه، معترفاً بقوميته، مدركاً واجباته، مزوداً بالمعلومات اللازمة له في حياته).

تعريف إسماعيل القباني (1898-1963 م): (التربية هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته المادية والروحية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه).

تعريف هربرت سبنسر (1820-1903 م): (التربية هي إعداد الفرد ليحيى حياة كاملة).

تعريف جود ديوي (1845-1905 م): (التربية هي الحياة وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئته).

التعريفات الحديثة للتربية:

عكف العلماء على طرح تعريفات حديثة لمفهوم التربية كلٌ بحسب رؤيته وفلسفته، ولكن مهما تعددت التعريفات وتطورت فهي تشير جميعها إلى معاني التقدم والرقي والكمال والنمو والتنشئة والتطور للأفضل، كما أنها لا تقتصر على فترة زمنية

معينة من عمر الإنسان، بل هي عملية مستمرة معه،

ومن التعريفات الحديثة لمصطلح التربية:

(التربية هي عملية التكيف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها).

(التربية هي عملية تضم الأفعال والتأثيرات التي تستهدف نمو الفرد في جميع جوانب شخصيته، وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيف مع ما يحيط به، ومن حيث ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات).

ثالثاً: مبادئ ومفاهيم التربية الحديثة

المراد بمبادئ التعليم والتربية:

إيجاد مفاهيم ثابتة ومستقلة تتوافق مع الأسس العقلية والمعطيات الاجتماعية، وهي المفاهيم والمفردات التي يمكن بواسطتها بناء الشخصية المتكاملة بكافة أركانها

من أهم متطلبات مبادئ التربية والتعليم أن تكون مرنة ومناسبة لكل زمان ومكان ويتم اكتشاف عناصرها من خلال التعامل مع متلقي التربية

من المهام الأساسية للتربية الحديثة أن يقوم المعلم أو المربي بإيصال العملية التربوية أو العمل التعليمي إلى مرحلة يصبح متلقي التربية فيها غني عن دور المربي في حياته فهو قد اكتسب المهارات والمعلومات اللازمة لإدارة حياته وهو ما يظهر مدى كفاءة ونجاح المربي في مهمته.

على صعيد آخر، فإن اختلاط الإنسان بالبيئة المحيطة وما تحويه من تناقضات واختلافات، تظهر لديه ميلاً نحو الاختلاف وقد لا يتأثر بالتربية بشكل كامل نظراً لاستعداده لتلقي ما يصدر عن محيطه والتعاطي معه بشكل مستمر، هنا تكون المهمة الأساسية لنظام التربية الحديث صقل الجانب الإيجابي في الإنسان واستخراج أفضل ما لديه والتنسيق بين استعداده للتلقي من المجتمع وجانبه الإيجابي أي:

أ. التنسيق بين مبادئ التربية التي يتلقاها الشخص والميول الخاصة به والتخلص من التناقضات الموجودة فيه من خلال تفويض تلك التناقضات والحيلولة دونها ودون التأثير السلبي والعمل على تذليل صعوبات الحياة ومجابتها.

ب. تعزيز الطاقات المنسجمة ومحاولة إظهارها وتحفيزها على النمو.

ت. الموائمة بين الأجهزة الفعالة في عملية التربية والتعليم مع الحفاظ على هوية كل جهاز، مستقلة عن غيرها من الأجهزة.

ث. قانون التربية معناه الانصياع لطبيعة الطفل وإعداد الظروف والمناخات لموائمة لتربية الطفل كما يستطيع وليس كما يشاء أو كما نشاء.

اضف إلى ذلك، لا بد من الإشارة إلى أمر آخر وهو ألا نتخذ من مبدأ واحد ثابت مصدراً للأعمال التربوية، وإنما ينبغي أن تنسجم الأصول التربوية مع الظروف والبيئة، والزمان، وأن ينطبق معها أي شيء يضاف إلى المحيط، فضلاً عن تطبيق المحيط عليها. وفي مثل هذه الحال يتضح الحد الفاصل بين "التكييف" و"الانسجام"، لأن العملية التربوية عملية داخلية

وارادية وفاعلية. ووردت هذه الفكرة في كتاب "التربية عند الايرانيين"، نقلاً عن افلاطون. فهو يعتبر التربية استخراجاً للقوى الباطنية لروح الإنسان.

على ضوء ما سبق يمكن القول ان التعليم والتربية عملية باطنية وفاعلة وتستوعب اكتشاف القوى الإنسانية الخلاقة وتفعيلها. لا بد أن نعلم أن هناك عملية مجابهة مستمرة بين القوى الخلاقة والقوى المخربة أو القوى الإلهية والقوى الشيطانية عند الإنسان.

ومن مهام التربية الحقيقية اكتشاف القوى الخلاقة وتربيتها وتفعيلها من أجل الحد بنفس المقدار من اتساع وتأثير القوى المخربة المفسدة.

إذن لا بد للمعلم أن ينطلق لتربية الإنسان وهو يحمل فكرة أن الإنسان ذو فطرة سليمة خيرة. ولذلك يقول المربي السويصري "بستالوزي". "أنه لو نُظر إلى الإنسان على أنه ذو طبيعة سيئة، فهذا يؤدي إلى اغلاق طريق الخير والصلاح بوجهه.

فينبغي على العملية التربوية القيام بازاحة العقبات، وتوفير مستلزمات النمو الطبيعي."

من المهام الأخرى التي تترتب على التعليم والتربية، "تربية شخصية الإنسان واعداده للتعامل الصحيح مع حوادث الحياة". ويقول "فروبل" بهذا الشأن: "لا بد لعملية التعليم والتربية أن تجعل الإنسان يعي أولاً ذاته وما هو كامن في وجوده، وأن

تجعله يتكيف مع طبيعته، كي يصبح قادراً بعد ذلك على الاتحاد مع ربه."

لا ريب في الإنسان إذا تميز خلال ذلك التعامل مع الحياة والمصادر الاجتماعية المتنوعة، بفكر عميق وصحيح، فستكون لديه القابلية على الانتخاب الأحسن، الذي ينسجم مع قواه الجسمية والنفسية، والامكانات الزمانية والمكانية. والفرص الاجتماعية.

إذن فعملية التربية مؤثرة جداً على تحقيق الحد الأعلى من التطور، والتكامل والسعادة للإنسان، ومن ثم انعكاس ذلك على المجتمع بأسره، حيث تدفع الآخرين أيضاً للمساهمة في تلك السعادة.

من جانب آخر يعتقد "كرشن اشتاينر" أن العمل التربوي القائم على التبعية، ينبغي أن يُعد الفرد لتربية مستقلة. فالمربي لا يستطيع أن يضع هذا الهدف بعيداً عن عينه. فمن الممكن تربية الشخصية عن طريق السعي الدائم لدفع الشخص من دائرة القيم المقيدة إلى عالم القيم المطلقة. وتسعى "المدرسة الفعالة" لتوجيه نمو الشخصية في هذا المسار.

المبادئ التالية المقتبسة من كتاب "أصول التعليم والتربية" والتي تعبر عن نظرية "اشتاينر" التربوية، تكشف عن تعقيد العملية التربوية وتضاربها:

مبدأ الفعالية: دع أي عمل – ما كان ذلك بوسعك مع رعاية الوضع النفسي – للنشاط الحر لتلميذك. فترك – ليس تطوّر العمل فحسب – بل العمل المنجز أيضاً، إلى روح البحث الدقيقة عند الطفل، إلى الحد الذي يسمح بذلك شكل العمل الشخصي ومادته.

مبدأ الاجتماعية: احرص على أن يحقق تلميذك ليس الاستقلال الأخلاقي الشخصي فحسب، وانما أن يساعد المجتمع كي يتطور أخلاقياً عن طريق نشاطه الحر أيضاً.

مبدأ الفردية: ينبغي وجود تشابه كامل أو جزئي على الأقل في التركيب المعنوية بين المتربي والرصيد الثقافي، كي يكون هذا الرصيد الثقافي مفيداً في التربية.

مبدأ المرونة: القدرة على تطبيق قوانين التربية الفعالة مع مراعاة التغيرات الزمنية واستيعاب التحديثات للوصول للنتائج

المرجوة.

يُستفاد من هذه المبادئ أنّ حجر الزاوية في العملية التربوية هو تربية الفردية، وروح الاستقلال، وترك زمام الأمور إلى المتربي، كي ينال التطور الأخلاقي والاجتماعي من دون الشعور بالحاجة إلى المربي.

يقول "بستالوزي:"

"لقد أخفت الطبيعة في الإنسان المواهب والقابليات الأفضل كاختفاء الجواهر في الأصداف. لذلك لو حطمت الصدفة قبل أوانها لرأيت الجوهرة غير مكتملة بعد."

يبدو أنّ جذور معظم الاختلالات التربوية والسلوكية التي نشاهدها عند الأطفال، نابعة من حالة الاستعجال التي قد تأخذ طابع الحرص والعطف، ومن التدخلات التي لا تحسن عملية التوقيت.

رابعاً: المرونة في الإسلام

الإسلام دين الوسط وقد قال تعالى في كتابه العزيز: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.....) [البقرة:143]، فالإسلام يحرض على التوسط في كل أموره، ويميل دائماً لإيجاد أيسر وأسهل الحلول في تعاملاته.

كما قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[آل عمران:159]

وهي توجيه صريح من الله تعالى للقائد التربوي بأن يتحرى اللين ويتخذ أسلوب تعامل في كافه أموره وقراراته وأن يبحث عن أيسر الحلول المقدمة إليه من البدائل المتاحة.

كما أنه مدعو إلى المرونة في التعامل مع الآخرين واستشارتهم عند اتخاذ القرارات، إضافة إلى الاعتراف بالخطأ وتصحيحه حتى ولو كان ذلك من رؤوسيه .

والإداري المسلم مطلوب منه التوسط في القرارات وتقدير الظروف ، واختيار أيسر السبل ، والتراجع عن الخطأ عند تبيانه كذلك من المرونة تفسير القواعد واللوائح المنظمة للعمل للصالح العام دون إخلال بهذه القواعد للصالح الخاص عندما لا يتعارض ذلك مع الصالح العام والعمل على اختصار الخطوات الروتينية في عمله لتحقيق الصالح العام وكذلك عليه أن يتيح فرصة تصحيح الخطأ من المخطئ من العاملين معه والحرص على استماع كافة وجهات النظر عند مواجهة المشكلات المدرسية سواء من المعلمين أو الطلاب أو أولياء الأمور .

أدلة من القرآن الكريم على المرونة :

1- قال تعالى : (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا 28)

[سورة الاسراء:28].

لقد فسر ابن كثير (ت 774 هـ) هذه الآية : ((أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة (فقل لهم قولاً ميسوراً) أي عدهم وعداً بسهولة ولين)) (تفسير ابن كثير الجزء الرابع ، ص 61).
ومن هذه الآية الكريمة يتبين لنا قمة المرونة في الإسلام بالقول الميسور حتى عند عدم القدرة على تلبية الطلب أو عدم الاستطاعة فلا وجود لرفض المطلق الجارح وكذلك في العمل الإداري فإنه ينبغي المرونة في القول وفي التصرف مع جميع العاملين بالمنظمة.

2- وقوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 280)
[البقرة : 280].

وقوله تعالى : (... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ 62) [سورة النور: 62].

وهذه قمة المرونة يقول قطب (1412 هـ) : (إن المعسر في الإسلام - لا يطارد من صاحب الدين أو من القانون والمحاكم . إنما ينظر حتى يوسر . ثم أن المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين . فالله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه - إن تطوع بهذا الخير وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين وهو خير للجماعة كلها ولحياتها المتكافئة) (الجزء الأول ، ص 333).

ونجد المرونة كذلك في قبول أعمار العباد من الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 183 أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مَسْكِينٍ ۚ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۗ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 184) [سورة البقرة : 183-148].

وكذلك قوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... 185) [سورة البقرة:185].



أدلة من السنة النبوية الشريفة على المرونة:

1- عن عائشة رضي الله عنها زوجة النبي-صلى الله عليه وسلم- أنها قالت : "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مسلم- وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل" رواه مسلم (ج 15، ص 83) .

2- من المرونة في تحصيل القروض ما ذكره البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كان تاجر يداين الناس ، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه" رواه البخاري (ج 3، ص 13) .

مفهوم المرونة في صدر الإسلام :

تتسم مرونة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابة عهد صلح الحديبية في حديث البراء بن عازب π قال : " لما أحصر النبي عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً ولا يدخلها السلاح : السيف وقرابة ، ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه قال لعلي : اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون : لو نعلم أنك رسول الله تابعتك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فأمر علياً أن يمحاها فقال علي : لا والله لا أمحاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرني مكانها ، فأراه مكانها ، فمحاها وكتب ابن عبد الله ، فأقام بها ثلاثة أيام ، فلما أن كان اليوم الثالث ، قالوا لعلي رضي الله عنه : هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج ، فأخبره بذلك فقال : نعم ، فخرج" رواه مسلم (ج 12، ص 136-138) .

وهذه توضح مدى ما يتسم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرونة في التعامل مع الأمور .

ومن المرونة ما أورده الطبري (ت 310 هـ) في -تاريخ الأمم والملوك - من خطبة الصديق من سماحه للناس بتقويمه متى ما علموا منه اعوجاجاً : " أيها الناس إنما أنا مثلكم واني لا أدري لعلكم ستكفونني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق ، ان الله اصطفى محمداً على العاملين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمتم فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها إلا أن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني " (ج 3، ص 224) .

أهميه سمه المرونة :

1. البحث عن أيسر وأسهل الحلول للمشكلة.
2. توفير أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف الواحد.
3. سن القوانين حسب المتغيرات المفروضة على المجتمع.
4. عدم اعتماد الجمود في أي من التعاملات لما سيعود به من فشل وخسارة.

5. المرونة تؤدي إلى إظهار الطاقات الكامنة وتشجيع الإبداع والابتكار بإيجاد أكثر من حل لأي مشكلة وعدم الالتزام بحل واحد.
6. إظهار الفروق الفردية بين أفراد المجتمع والعمل عليها بما فيه مصلحة الكل.
7. النظر للأمور كافة من جميع الزوايا لتحقيق رؤية شاملة تساعد على تحقيق رسالة التربية والتعليم.

مما سبق نستنتج ما يلي:

أولاً: المرونة عينٌ على الحاضر وعينٌ على المستقبل:

من أهم مهارات المرونة النفسية القدرة على استقراء الواقع واستنباط معطياته، ورؤية الصورة الشاملة للحياة وكيفية سير الأمور، فعندما تنظر إلى شيء معين عن قرب فإنك ترى جانباً واحداً فقط من الشيء، ولكن في حال ابتعادك قليلاً تتوسع دائرة الرؤية لتصبح أشمل وأكثر إدراكاً، وهو حال المبدعين والمتميزين حيث يستطيعون انتزاع أنفسهم من زحام الحاضر واخذ استراحة بسيطة للحصول على تخطيط أفضل ورؤية أشمل تساعدهم على إدراك حاضرهم ومستقبلهم بشكل أكثر ثباتاً وإيجابية.

ثانياً: الموقف من التغيير:

في كثير من الأحيان وكثير من الشخصيات يمثل التغيير تحدٍ مصيره الفشل، بحيث ترفض النفس البشرية عملية التغيير بل وتحاربها حتى وإن كانت للأفضل، لأنها تراه تهديداً لها ولاستقرارها، ولكن في حال امتلاكنا المرونة النفسية، فإننا سننظر للتغيير على أنه فرصة للتعرف على معطيات جديدة وتقنيات حديثة، سنراه فرصة للتفكير خارج الصندوق ونيل خبرات ومعارف تساعدنا على تحسين حياتنا وأعمالنا.

فالتغيير يساعدك على اقتناص الفرص الجديدة، حتى وإن كانت لا تتوافق مع ما مررت به من تعليمات وخبرات سابقة، إضافة إلى التخلص من العمليات اليومية الروتينية والتي تعمل على قتل الإبداع وبالتالي تضييع الإنجازات التي نتطلع لها.

ثالثاً: التكيف مع شدائد الحياة وصدماتها:

تتيح المرونة لصاحبها سهولة التعامل مع كافة المعطيات التي تطرأ على حياته وظروفه، فقد يحصل أن ينتقل الشخص من حياة مترفة مريحة، إلى حياة أخرى مليئة بالتحديات والصعوبات، فبإملاكه سمة المرونة لن يجد صعوبة في الوقوف على قدميه من جديد.

ولن يكون دوره الاستسلام والفشل في مواجهة تطورات الظروف، بل سيعتبر ما يمر به من صعوبات ممر ليصل به إلى النجاح والإنجاز الذي يصبو إليه.

رابعاً: عين على الداخل (النفس):

يملك المرنون قدرة فذة على الإنسلاخ من أنفسهم، والنظر إلى حياتهم من جوانب أكثر بعداً وشمولاً، ومراجعة قراراتهم ومواقفهم وأفكارهم وطريقة حياتهم، وهم أكثر الأشخاص قبولاً لنظريات الإصلاح والتصحيح والتطوير الاجتماعي، وأكثر الأشخاص قبولاً للتغيير، وعدم اتخاذ أفكارهم السابقة مسلمات لا بد من العيش ضمن نطاقها.

ومن أشهر المؤمنين بأهمية المرونة الأنبياء والمرسلين، حيث أنهم لم يجبروا أهلهم على تبني أفكارهم، ولم يتخذوا أنفسهم قلوباً لا بد للمجتمع أن يتقبل بها لنيل الرضى وإنما كانوا يتحملون الألم والأذى والإعراض في سبيل الوصول للهدف الأسمى وهو هداية الناس، وكانوا يتقبلون التصويب والمغالطة واحترام الرأي والرأي الآخر وعدم اعتماد القمع الفكري، فقط لكونهم أنبياء وأصحاب رسالة وليس لأحد أن ينتقدهم أو يراجع أفكارهم وأساليبهم.

خامساً: التمييز بين الأشياء التي يمكن تغييرها والتي لا يمكن:

امتلاك المرونة النفسية معناه امتلاك القدرة على التمييز بين المسلمات والتي لا يمكن العبث بها أو تغييرها، وبين ما يمكن تغييره وتبديله حسب الظروف الطارئة والزمن، تأمل هذه المقولة: (عندما تقلق وتندم من أشياء لا يمكن تغييرها.. فسيكون لديك طاقة أقل لبذلها في الأشياء التي يمكن تغييرها).

فالقدر على تمييز المسلمات، وعدم إضافة الوقت والجهد في محاولة تغييرها والحفاظ على تلك الطاقة لتغيير الأمور من غير المسلمات للعمل على تحقيق الطموحات وشحن الهمة للوصول وتحقيق الأحلام التي قد يراها البعض ضرباً من الخيال.

سادساً: من الداخل إلى الخارج وليس من الخارج إلى الداخل:

في أمور حياتنا هناك العديد من التحديات، والمصاعب التي قد تواجهنا والتي ستحتاج بالتأكيد لشخصية مرنة لتعامل معها بالطريقة المثلى التي تضمن الخروج من دائرة الفشل، والعمل على تحقيق النجاح، لذا كان من المهم عند مواجهة التحديات عدم محاولة تغيير الطرف الخارجي لأنه أمر واقعي ومن الصعوبة تغييره ولكن النظر إلى النفس ومحاولة تطوير القدرات الكامنة فيها، كتعلم مهارة معينة أو تطوير أخرى موجودة مما يساعد على التعاطي مع الظروف بحرفية.

سابعاً: القدرة على تبديل الأدوار:

لكل منا عدة أدوار ليؤديها خلال يومه، فالفرد في يومه سيكون في بيته أب أو زوج أو أخ، وفي المجتمع مواطن، وفي عمله قد يكون طبيباً أو مديراً أو عاملاً أو مدرساً، لذا فهو يرتدي قناع الدور المنوط به حسب المكان والزمان، فإن لم يملك المرونة النفسية اللازمة لن يتمكن من فصل الأدوار عن بعضها البعض وسيعود عليه بالعديد من المشاكل والضغوطات التي ستطال حياته وحياة جميع الأفراد المرتبطين به، لذا استوجب توفر المرونة النفسية اللازمة للانتقال بين الأدوار المختلفة خلال اليوم الواحد والقيام بمهام ومتطلبات كل دور على الوجه الأمثل بما يضمن الاتزان للفرد ومجتمعه، وبما يعود بالفائدة المطلوبة من كل دور.

خامساً: أهمية المرونة للإدارة التربوية

من أهم أساسيات التعامل ومبادئ التربية الحديثة المرونة التربوية خاصة في مجال الإدارة المدرسية ولدى المعلمين والمربين، فتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية بحاجة لقدر كبير من المرونة واستيعاب كافة الأطراف المشاركين بالعملية التعليمية، بدءاً المسؤولين وموظفي التربية، مروراً بالمعلمين والمنهج التربوي انتهاءً بالطلاب والذين يشكلون بيئة التعليم والأشخاص المقصودين بعملية التربية والتعليم.

وتظهر أهمية مرونة الإدارة المدرسية في انتقاء القادة التربويين لأيسر الحلول عند اتخاذ أي قرارات تتطلب العمل على تنفيذها ومراقبة نجاحها.

كما تتضح أهمية مرونة الإدارة المدرسية في تسهيل المربين لإجراءات القوانين والقرارات المدرسية بأقل كلفة ممكنة، وأقصر وقت متاح، إضافة لتقبل آراء وانتقادات جميع الأطراف ذوي الصلة بالعملية التربوية من مدرسين وطلاب وأولياء أمور، مما يسهل عملية تصحيح الأخطاء الواردة عن هذه القرارات، إضافة إلى تمييز القرارات الإيجابية البناءة من القرارات التي تحوي خللاً أو صعوبة في التنفيذ.

تطبيق مفهوم المرونة التربوية :

من الأمور التي تساعد مدير المدرسة على تطبيق مفهوم المرونة التربوية ما يلي:

1. تحديد أهداف تربوية مرنة، تتماشى مع متطلبات العصر والتغيير وتجد صدى وتقبل لدى المتعلمين.
2. وضع سياسة تعليمية مدرسية تتميز بدرجة من الثبات خلال العام الدراسي، مع مراعاة مراجعتها وتطويرها بما يناسب مع المتطلبات المتغيرة للمجتمع .
3. وضع الخطط المدرسية القصيرة أو الطويلة المدى والتي تتسم بالمرونة في ضوء الممكن من الموارد المادية والبشرية المتاحة حالياً للمدرسة ، والتي يتوقع توفرها في المستقبل القريب والبعيد .
4. اختيار أفضل الحلول بين البدائل المتاحة عند اتخاذ القرار في ضوء معيار أقل تكلفة وأقصر وقت وأعلى جودة ممكنة .
5. تفسير القواعد واللوائح المنظمة للعمل للصالح العام دون إخلال بهذه القواعد .
6. اختيار الخطوات التنظيمية - الروتينية - ما أمكن لتحقيق صالح العمل عند الضرورة .
7. إتاحة الفرصة أمام العامل المخطئ لتصحيح الخطأ قبل الاهتمام بمحاسنته وبما لا يتجاوز القوانين المنظمة لذلك .



8. الاهتمام بمعرفة وجهة نظر المعلمين في تقارير الكفاية السنوية لهم ومناقشتهم والاستماع إليهم في هذا الخصوص
9. السماح للمعلمين بإبداء وجهة نظرهم حول سير العمل بالمدرسة وانتقاده وتقبل الآراء حول طبيعة هذا السير .
10. تبادل الآراء وفتح المجال للنقاش وتبيين السلبيات والإيجابيات.
11. تفهم الأسباب التي يبيدها أولياء الأمور في تفسير تجاوزات الطلاب ذوي المشاكل والعمل على وضع الخطط اللازمة لحاها مع المرشد الطلابي ولجنة الإرشاد الطلابي بالمدرسة .
12. تفهم الأسباب التي يبيدها العاملون في حالات الأخير والغياب عن العمل ومعالجة ذلك .
13. التراجع عن أي قرارات إدارية في حالة تبيين خطأها.
14. القدرة على تفويض الزملاء والعاملين كل حسب دوره ووظيفته وتوزيع الأدوار للوصول بنتيجة مرضية وناجحة.

تطبيق مفهوم المرونة في التفكير:

أنواع التفكير ثلاثة ، السطحي ، والعميق ، والمستنير:

أولاً: التفكير السطحي:

ويكون في المواضيع التي لا تأخذ عملية التفكير حقها من حيث استخدام الأركان الأربع، فمن حيث الواقع لا يتم تقليبه لنقل صورته الحقيقية، ومن حيث الحس لا يتم نقل صورة الواقع كاملة، أو يقتصر فيها على حاسة دون حاسة أخرى، ومن حيث المعلومات السابقة لا تستحضر المعلومات المطلوبة الكافية لتفسير الواقع، ومن حيث الربط لا يتم الانتباه إلى مختلف الخصائص والعلاقات المترتبة عليها بين الواقع والمعلومات .

والذي يتم في أركان عملية التفكير السطحي هو السطحية، والسطحية تعني عدم التعمق في توفير الأركان، فلا يتم كما ذكر أعلاه -التعمق في الواقع ولا في الحس ولا في المعلومات السابقة المتعلقة بالواقع ولا في الربط.

أي أن السطحية تعني عدم العمق في الواقع، وفي نقله، وفي المعلومات السابقة المتعلقة به، وفي الربط. وتعني عدم التعمق في الواقع المراد التفكير فيه، ويشمل التعمق الأركان الأربع.

ثانياً: التفكير العميق:

وهو ضد السطحي، ويعني الإحاطة بالواقع، من جميع أركان عملية التفكير، فتجده ينظر إلى الواقع مرات ومرات، ويقبله من كافة نواحيه، وينظر فيه مرة وثانية وثالثة، وينقب بدقة في ذاكرته لاستحضار المعلومات السابقة المتعلقة بالواقع المراد التفكير فيه، ويقبل النظر في علاقة المعلومات المستحضرة بالواقع، كل هذا يتم بتكرار مع التركيز.

ثالثاً: التفكير المستنير(المرن):

يمتاز التفكير المستنير عن التفكير العميق بأن يتم ربط الواقع بوقائع أخرى متعلقة به، كأن تكون علاقته بما حوله، مثلاً، أو علاقته بما قبله، أو علاقته بما بعده، أو علاقته بشبيه له، أو غير ذلك، ولا بد فيه من التفكير العميق، مضافاً إليه ملاحظة علاقة الواقع المراد التفكير فيه بما حوله.

ولنأخذ الطالب السابق نفسه، ونسأله السؤال نفسه، فتجده إضافة إلى ما قام به الطالب السابق المستشهد به في عملية التفكير العميق يقوم بملاحظة العلاقة بين عملية القسمة والعمليات الرياضية الأخرى، ليجد أن هناك تعلقاً بين عملية القسمة وعملية

الضرب، فبعد أن يصل إلى نتيجة أن الجواب خمسة، يضرب الخمسة في الاثنين، ليجد أنها عشرة، مطابقاً لما في السؤال، وإن كان يشك في نتيجة الضرب، يدرك أن هناك علاقة بين عملية الضرب وعملية الجمع، فيقوم بجمع الاثنين خمس مرات، ليصل إلى أن الجواب صحيح مئة بالمئة، دون أدنى شك في صحة الإجابة، بخلاف الطالب صاحب التفكير العميق الذي قد يصل إلى أن الجواب أربعة وليس خمسة، ولا يلاحظ العلاقة بين عملية القسمة وعملية الضرب، لكنه مع تعمقه في التفكير وصل إلى نتيجة خاطئة، مع أنه استوفى أركان عملية التفكير، لكنه ربما كان يحفظ أن قسمة عشرة على اثنين تساوي أربعة، أو أخطأ في الربط، ولذلك فإن احتمال الخطأ في التفكير العميق وارد، لكن إن أضيف إليه الاستنارة تكون النتيجة أدق، وتصل إلى أن تكون قطعية في الأمور التي يحكم فيها على الوجود.

وفي حل العقدة الكبرى لا بد من استخدام التفكير المستتير وما يتميز به من المرونة، لأن الأمر متعلق بالتفكير في الواقع مرتبطاً بما حوله. والتعود على عمق التفكير يفقد الإنسان الاستنارة في التفكير، ولذلك تجد كبار العلماء في مختلف صنوف العلم تجدهم - كما قال الشيخ رحمه الله - يصلون للخشبة أو للحجر، وذلك لفقدانهم الاستنارة، نتيجة التعود على العمق في التفكير.

ومن الأشياء التي يتم تعويد الطلبة في المدارس عليها التركيز، والتركيز يعني عدم الالتفات لغير الواقع المراد التفكير فيه، وهو يتنافى مع الاستنارة، ولذلك تجد أكثر أبناء المسلمين فاقدين للاستنارة في التفكير، نتيجة تعويد المدارس لهم على التركيز في المادة المدروسة.

فالتفكير العميق يبين حقائق الأشياء، لكن لا يمكن أن يبين صلتها بغيرها، وعلاقتها بها، خذ الفيزيائي مثلاً وعمقه في بحث خصائص المادة، فكلما توسع في علاقات المادة بعضها مع بعض اكتشف أشياء جديدة، لكنه إن اقتصر على النظر في الجزيئات سيبقى تفكيره محدوداً، ولا يمكن أن يصل إلى كون المادة مخلوقة أو غير مخلوقة.

خاتمة

في ضوء ما سبق شرحه ودراسته وتعريفه من مصطلحات مختلفة، ندرك أهمية المرونة في التربية الحديثة وتأثيرها الإيجابي في بناء الإنسان، ونستذكر رسول الله - ﷺ - : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»، أخرجه مسلم، وهو ما ندعو لاعتماده ليس في التربية فقط وإنما في جميع شؤوننا.

المراجع:

القرآن الكريم

- ابن منظور. (2008). "معنى التربية". لسان العرب ، مصر: دار المعارف للنشر.
- تعريف ومعنى المرونة في معجم المعاني الجامع . (Nude) . استرجع من www.almaany.com.
- حنيطي، أحمد. (2015). الثبات والمرونة في الشريعة الإسلامية بين التجديد والانفتاح، علوم الشريعة والقانون، المجلد 42، العدد 2، صفحة 413-414.
- صحبته، زينة. (2016). المرونة النفسية وعلاقتها بالتوجه نحو الحياة، منشورة ، كلية الآداب، جامعة القادسية ، العراق.
- عبد الوهاب، صلاح . (2011) . المرونة العقلية وعلاقتها بكل من منظور زمن المستقبل وأهداف الانجاز. مجلة بحوث التربية النوعية ، ع(20) ، ص 25-28.
- العمامرة، حسن. (1999). التربية والتعليم في الأردن منذ العهد العثماني حتى عام 1977 . ط1، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص 43.
- كريمي، عبد العظيم. (2007) . مرتكزات التربية والديمقراطية - العقلانية، والمدنية، والمعنوية ، ط1 ، لبنان: دار الهادي.
- محمد، إسماعيل. (2017)، "عوامل مرونة الشريعة الإسلامية"، استرجع من www.alukah.net
- ناصر، إبراهيم. (1999). مقدمة في التربية . ط1، الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ص 206.
- الهمشري ، عمر. (2001) . مدخل إلى التربية . ط1 ، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع ، ص 18.